مجلة المحترف لعلوم الرياضة و العلوم الانسانية و الاجتماعية
المجلد ( 12 ) العدد ( 01) السنة ( 2025)
الصفحة 272-282

# ضرورة التأسيس لأخلاق إيكولوجية جديدة – إدغار موران أنموذجا –

# *The necessity of establishing a new ecological ethics - Edgar Morin as an example -*

**شهرة درسوني**
[1] جامعة باجي مختار عنابة (الجزائر)، chahra.darsouni@univ-annaba.dz

معلومات البحث

**تاريخ الاستلام: 2024/12/01**
**تاريخ القبول:2025/03/30**

**Printed ISSN: 2352-989X**
**Online ISSN: 2602-6856**

**الملخص:** تهدف هذه الورقة البحثية للوقوف أمام دراسة فكرية راهنية، تتعلّق بالمشكلة الإيكولوجية التي يعاني منها الإنسان المعاصر في بيته البيئي، والتي كانت سببا لظهور الفلسفة الإيكولوجية المؤكّدة بأنّ الإنسان لا يتميّز عن غيره من الكائنات الحية الأخرى لإعتباره عضوا مثلها داخل الوسط البيئي، والتكامل الحيوي الموجود بينها هو الذي يمنح مشروعية الحديث عن حق كل كائن إيكولوجي بما فيه الوسط البيئي الذي يأويها.

ولأجل محاولة حلّ هذه المشكلة وتجاوزها، وذلك بمناقشتها أخلاقيا من قبل الإنسان لكونه الوحيد المالك للبعد الأخلاقي الذي يفرض عليه التحلّي بالمسؤولية الأخلاقية إزاء بيئته، أكّد الفيلسوف الفرنسي إدغار موران EDGAR MORIN ونادى بضرورة التأسيس لأخلاق إيكولوجية جديدة بعد فقدان التوازن في العلاقة الرابطة بين الإنسان وبيئته.

**الكلمات المفتاحية:** الوعي، الأخلاق، الإيكولوجيا، المسؤولية.

**ABSTRACT**

This research paper aims to present a current intellectual study related to the ecological problem that contemporary man suffers from in his environmental home, which was the reason for the emergence of the ecological philosophy that asserts that man is not distinguished from other living organisms because he is considered a member like them within the environmental environment, and the biological integration that exists between them. It is what grants legitimacy to talk about the right of every ecological being, including the environmental environment that houses it.

In order to try to solve this problem and overcome it, by discussing it ethically by man, since he is the only one who possesses the moral dimension that requires him to bear moral responsibility towards his environment, the French philosopher Edgar Morin emphasized and called for the necessity of establishing a new ecological ethics after the loss of balance in the relationship between man and his environment.

**Keywords**: Consciousness, Ethics, Ecology, Responsibility.

## 1. مقدمة:

يجب يجب إنّ الإنسان المعاصر في ظل التطوّر العلمي والتكنولوجي الذي حقّقه معتمدا العقلانية الأداتية إنطلاقا من تسليمه بمركزيته في العالم، واصل ترسيخه لمنطق الثنائية الفاصل بينه وبين عالمه أي ثنائية الذات والعالم، هذا الأخير المتمثّل أساسا في بيته الكبير: البيئة، ومن خلال الحق الذي منحه لنفسه مارس سيطرته الكلية على وسطه البيئي محدثا تغييرات عليه تختلف في تأثيرها بين الإيجابي كالعمران ذو الغرض الوظيفي والمراعي للجانب البيئي، وبين السلبي بالتعدّي على جماليته من خلال التلوث والإستنزاف اللاعقلاني لموارده وإستمرارية تطوير السلاح النووي، وهو ما أدّى إلى وقوعه بمأزق إيكولوجي.

وهذه المشكلة الإيكولوجية كانت سببا لظهور الفلسفة الإيكولوجية المؤكّدة بأنّ الإنسان لا يتميّز عن غيره من الكائنات الحية الأخرى لإعتباره عضوا مثلها داخل الوسط البيئي، والتكامل الحيوي الموجود بينها هو الذي يمنح مشروعية الحديث عن حق كل كائن إيكولوجي بما فيه الوسط البيئي الذي يأويها، وذهب كل المفكّرين والفلاسفة الإيكولوجيين إلى الإتّفاق حول الفكرة القائلة : إذا كان الإنسان المتسبّب في هذه المشكلة، كان لابدّ عليه من محاولة حلّها وتجاوزها وذلك بمناقشتها أخلاقيا لكونه الوحيد المالك للبعد الأخلاقي الذي يفرض عليه التحلّي بالمسؤولية الأخلاقية إزاء بيئته.

ومن بين هؤلاء المفكّرين نجد الفيلسوف الفرنسي **إدغار موران (Edgar Morin)** الذي نادى بضرورة التأسيس لأخلاق إيكولوجية جديدة بعد فقدان التوازن في العلاقة الرابطة بين الإنسان وبيئته. وحتى يتم التطرّق لهذه الأفكار لزم بداية طرح التساؤلات الآتية: **كيف نظّر إدغار موران للمشكلة الإيكولوجية والأصل المتسبّب في نشأتها وإستمرارية تفاقمها ؟ وإذا كان موران قد دعا إلى ضرورة تأسيس أخلاق إيكولوجية جديدة، فما هي الأسس التي تقوم عليها ؟ وهل هي كفيلة للخروج التدريجي من المشكلة الإيكولوجية ؟**

## 2. من الإيكولوجيا إلى الأخلاق الإيكولوجية.

أدخل عند الوقوف أمام الإشتقاق اللغوي لمصطلح الإيكولوجيا ( **Ecologie** ) نجد بأنّه مؤلّف من شقين" الأول (oikos) ويعني مسكن أو مأوى أو بيت. أمّا لوغوس (**logos**) فهو يوناني الصياغة، ويعني دراسة أو علم. وأول من أسّس هذا الحقل المعرفي هو العالم البيولوجي الألماني أرنست هيكل سنة **1866** وعنى به دراسة العلاقة بين الكائن الحي والبيئة" ( **بن سباع، 2016، ص 59**)، بمعنى أنّ الإيكولوجيا أو علم البيئة هي ذلك العلم الذي يهتم بدراسة شروط وجود الكائنات الحية وعلاقتها بالوسط الذي تحيا فيه وكل ما يحدث بينهما من تفاعلات حيوية. وبما أنّ الفلسفة مرافقة لأيّ علم من العلوم لما تتميّز بها من قدرة فكرية على الممارسة التحليلية والتساؤلية النقدية، ظهر ما يعرف بـ" **الفلسفة الإيكولوجية**" (**Philosophie écologique**)، والتي تملك مرادفات عديدة من بينها: **الفلسفة البيئية (Philosophie environnementale)**، **الإيكوصوفيا (Écosophie)**، **أخلاق الأرض(L'éthique foncière)**، وكلها تؤكّد على إتّحاد علم البيئة بالحكمة الفلسفية، أي أنّه وبعد التهديد

الذي أصاب البيئة من طرف الإنسان وتوتر العلاقة بينهما أسّس الفلاسفة الإيكولوجيين لهذه الفلسفة الإيكولوجية وهي فلسفة ثورية تحرّرية نقدية تهدف لإعادة التوازن بين الإنسان والبيئة. ولقد أكّد على غايتها الفيلسوف الإيكولوجي **هنريك سكوليموفسكي (Henrik Skolimowski)** في إحدى مقابلاته على أنّ الفلسفة الإيكولوجية أن تبدع كوسمولوجيا جديدة نكون ضمنها مستأنسين في هذا الكون ومتسالمين مع الخليقة كلها، بمعنى إعادة العلاقة الطبيعية المسالمة بين كل الكائنات الحية مع وسطها البيئي، وبالتحديد بين الإنسان وبيئته وذلك بواسطة" **الأخلاق الإيكولوجية" (Éthique écologique)** بحكم أنّه الكائن الحي المتفرّد بميزة العقل وصفة الخلق، أي أنّ الفلسفة الإيكولوجية ركّزت بالأساس على البعد الأخلاقي الذي وجب أن يرافق علم الإيكولوجيا، ولهذا فإنّ الأخلاق الإيكولوجية هي " أخلاق موضوعها سلوك البشر إتّجاه الطبيعة، وغايتها المحافظة على البيئة ورعايتها"( **مفرج، 2009، ص 36**)، أي هي عبارة عن " دعوة إلى التطوّر الخلقي"( **زيمرمان، 2006، ص 187**). وما يؤكّد إرتكاز الفلسفة الإيكولوجية على الأساس الأخلاقي الذي مثّل تحديدا الأخلاق الإيكولوجية مجموعة الخصائص التي تميّزت بها الفلسفة البيئية كفلسفة من ضمن العديد من الفلسفات المعاصرة، وهذه الخصائص هي على التوالي:" الشمولية، السعي إلى الحكمة، الوعي البيئي، الإقتصاد النوعي، الوعي السياسي، الإهتمام الإجتماعي، المجاهرة بالمسؤولية الفردية، الروحية، الإلتزام، الحيوية، التفطّن للصحة، التسامح مع الظواهر التي تتعدّى الفيزياء".( **جفال، 2018، ص 107**)

### 3. غياب الوعي الإيكولوجي أصل المشكلة الإيكولوجية .

أدخل إنّ العقل المنتج للعلم والمعرفة الذي تحرّر في عصر النهضة ليؤسّس المركزية الإنسانية القائمة على أنقاض المركزية اللاهوتية التي سبقتها، واصل في خط مستقيم تطوير إنتاجاته التي رسّخت إمكانية سيطرة الإنسان على الطبيعة من ديكارت إلى ماركس إلى نيتشه وإستغلال التقنية لإخضاع الطبيعة لسيطرة الإنسان، وعلى هذا الأساس" إعتبر النقد الإيكولوجي أنّ المركزية البشرية أصل الأزمة البيئية "( **زيمرمان، 2006/2001، ص 233**)، وأنّ التمادي في إختراق حقوقها بتجاوز قوانينها وإستنزاف طاقاتها ومواردها، شرّع لبداية مأساة الإنسان المعاصر وحدوث الشرخ بينه وبين بيئته. وهذا الشرخ أعاد التأكيد على أنّ الإنسان عنصر فاعل أمّا الطبيعة فما هي إلّا عنصر منفعل بعد الإنتقال من فعل" التعايش معها" (**الحمد وصباريني، 1979، ص 159**) إلى فعل" السيطرة عليها"، بل وتحوّل فعل السيطرة بعد فقدانها إلى فعل تدمير لها، فتمّ إصدار ما سمّاه **إدغار موران (Edgar Morin)**:" إنذار مفاجئ بتدمير الطبيعة (الإنذار الإيكولوجي)"، ( **موران، 1995، ص 408**) والذي قصده به، أنّ البيئة أضحت تعاني العديد من المشكلات التي تهدّد وجوده، وإذا قيل أنّ هناك مشكلة بيئية فإنّ هذه الأخيرة تجسّد مشكلة حضارية من منطلق أنّ دمارها هو دمار للإنسان بالدرجة الأولى، ما جعل **إدغار موران (Edgar Morin)** يصرّح قائلا:" الطبيعة المهزومة هي التدمير الذاتي للإنسان"، ( **موران، 1995، ص 420**)، وإذا تم تفعيل الإنذار الإيكولوجي فهذا دليل على بداية تحرّر الوعي الإيكولوجي الذي كان غائبا وبغيابه نشأت المشكلة الإيكولوجية وإستمرت بالتفاقم، فكان غياب الوعي الإيكولوجي أصل المشكلة الإيكولوجية حسب **إدغار موران (Edgar Morin)**.

أمّا عموما فقد تمّ الإجماع على أنّ ظهور المشكلة الإيكولوجية كان بظهور التلوّث بأنواعه والذي كان نتيجة للثورة الصناعية التقنية التي أفرزها العقل العلمي، ودون التعقّل ومحاولة التمهّل في النظر إلى أصل هذه المشكلة والتفصيل في جزئياتها، تمّ إرجاع أصل الأزمة الإيكولوجية إلى التقنية بل وتقديمها مجدّدا على أنّها حل لها، أي التسليم يقينا بالتقنية كمخلّص وحيد للبيئة وجميع مشكلاتها، وبهذا يضحى هناك ترسيخ للمشكلة البيئية وتشجيع للتقنية والتكنولوجيا بالإستمرار الجنوني الذي يزيد الأمر سوءا، وهو ما أشار إليه **إدغار موران (Edgar Morin)** في قوله:" إنحطاط المنظومة الإيكولوجية يرد إلى مشكلات التلوث، ويمكن فعليا، لكل تلوّث أن يعزل ويعالج تقنيا... ولكن ذلك يؤدّي مباشرة إلى إسدال قناع على المسألة العامة التي هي ليست مسألة مزابل: بل مسألة تنظيم عام للمجتمع، للعلاقة بين الإنسان والطبيعة، للصيرورة الصناعية ومن المؤكّد أنّ التكنولوجيا قادرة على إعادة التفكير في المنظومة والتقنية وهي دواء جزئي. هي أيضا، وجه من وجوه الداء لأنّها تدمّر المعنى الكلي للمسألة، لأنّها لا تملك ضبطها الخاص"( **موران، 1995، ص– ص 422 – 423**)، وحسب موران الذي يرى بأنّه تم الفشل في تحديد الأصل الحقيقي للمشكلة الإيكولوجية والإستناد إلى التقنية التي هي بالأساس تجلّ من تجلّيات غياب الوعي الإيكولوجي وعدم التحكّم فيها، كما أنّ المطب الثاني الذي تم الوقوع فيه هو التمسّك المتعصّب للتقنية كحل سريع لهذه المشكلة، وعليه فإنّ الحلقة المفقودة في ظل المشكلة الإيكولوجية المعاصرة – والتي كان لا بدّ من حضورها أثناء التفكير فيها وتقديم الحل المتمثّل أساسا في ظهور المشكلة– هي" الأخلاق"، فالعقل الأداتي أنتج العلم التكنولوجي متجاهلا الأخلاق ، بمعنى أنّ سلبية العلم الأخلاقية التي تمثّلت في تجسيد الثنائية الآتية:" جنون تكنولوجي وعمى إيتيقي"( **بن سباع، 2018، ص 96**)، أدّى إلى ظهور المشكلة الإيكولوجية ، ولمحاولة علاج العمى الإيتيقي المصاحب للمشكلة الإيكولوجية كان هناك ضرورة لوجود إتّجاه فكري يمثّله ويؤسّس له ويدعو لحضور الإيتيقا وتدّخلها في محاولة الخروج من المشكلة الإيكولوجية وهذا ما عرف بالإتّجاه الإيكولوجي أو الفلسفة الإيكولوجية المتضمّنة للأخلاق الإيكولوجية، والذي يقول عنه موران بأنّه:" يحارب الإيديولوجية الغربية للإنسان بوصفه وحدة معزولة، مونادا مغلقا في الكون لم تستطع الرومانطيقية الإرتكاس ضده إلّا شاعريا، ولم تستطع النزعة العلمية الإرتكاس ضدّه إلّا آليا يجعلها من الإنسان شيئا هو أيضا". (**موران، 1995، ص 420**)

وبالعودة إلى الإنسان الذي آمن بمبدأ الإستقلالية عن المنظومة الإيكولوجية الذي هو بالأساس تابع لها من منطلق إعتباره عنصرا من عناصر سلسلتها العضوية، معترفا فقط بمبدأ التبعية لها من منظور العلاقة التي تجمعه بها والمتمثّلة في إستغلال مواردها، نجده تجاهل العلاقة الحقيقية بينه وبين بيئته والقائمة على أساس الحقوق الطبيعية التي تمنحها المنظمة الإيكولوجية لكل كائناتها الحية ولا تقتصر عليه فقط وإنّما تشمل الحيوان والنبات على حد سواء، ومن هنا نجد غياب الأخلاق أو غياب العلاقة الأخلاقية للإنسان إتّجاه بيئته بإعتباره الكائن الحي الوحيد الذي يملك عقلا وبالتالي أخلاقا وجب عليه التحلّي بها وممارستها مع غيره من بني جنسه ومع غيره من الكائنات الحية، جعل **ألدو ليوبولد (Aldo Léopold)** وهو فيلسوف وأديب أمريكي يقول:"( حتى الآن: لا توجد أيّة أخلاقيات تتناول علاقة الإنسان بالأرض والحيوانات والنباتات، التي تنمو عليها، ما تزال العلاقة بالأرض إقتصادية بحتة، تترتب عليها

إمتيازات فقط وليس إلتزامات"( **حنيفي، 2017، ص 8**)، وإذا غابت الأخلاق في هذه العلاقة تغيب بالضرورة المسؤولية بمعنى، "أنّ غياب المسؤولية هو الذي يبرّر لأفعالنا كبشر إلحاق الأذى بالطبيعة وكائناته"( **بن سباع، 2018، ص 98**).

إنّ المشكلة الإيكولوجية معقّدة جدا إلّا أنّ هذا التعقيد يمكن أن يذلّل تدريجيا عندما يتم تفصيل جزئياته تدريجيا فمن غياب الوعي الإيكولوجي نتج حضور الوعي الإنساني الأناني، ومن منطق الثنائية ( ذات/موضوع) نتجت مركزية الذات وهامشية الموضوع، ومن المركزية الذاتية تجسّدت علاقة السيطرة بدل التعايش الحيوي، ومن مبدأ السيطرة أنتج العقل الإنساني المعرفة التكنولوجية والعلم التقني للحفاظ عليها وتطويرها عن طريق الثورة الصناعية والتكنولوجية، وفي العلم التقني غضّ الطرف عن سلبياته وتمّ تهميش الأخلاقيات، وفي تغييب الأخلاقيات غيّب الحس بالمسؤولية للإنسان إتّجاه نفسه فأضحى متشيّئا وإتّجاه الأرض التي تأويه فهدّد وجوده ووجود كل من يشاركه فيها، وفي هذه التسلسل المتعدّد الحلقات يتم العودة للبداية أي لمنطق الإستقلالية وعدم الإعتقاد بالتبعية في إطار المنظومة الإيكولوجية، هنا تحديدا حدث العطب على مستوى التفكير الذي كان أحاديا أنانيا منصبا على الذات متجاهلا العالم الذي يأويها، ولهذا يرى **إدغار موران (Edgar Morin)** بأنّ:" المهمة الأصعب هي التفكير في كوكبنا، هذه المهمة هي الأكثر ضرورة "( **بودريارد وموران، 2005، ص– ص 73– 74**)، وهذا الخلل على مستوى التفكير الأناني بالذات بدل التفكير في العالم الذي لولاه لما كانت الذات موجودة، أدّى إلى غياب الوعي بضرورة ما سمّاه **إيمانويل كانط (Emmanuel Kant)** بـ " الضيافة الكونية "( **كانط، 1952، ص 60**)، والتي قصد بها المكانة التي وجب أن يأخذها كل مواطن أو ما سمّاه النزيل الأجنبي في أيّ أرض يحل بها، من منطلق التسليم بأنّ الأرض وطن لجميع البشرية وهو ما عبّر عنه إدغار موران أيضا بمصطلح "المواطنة المشتركة" أين قال:" نحن لا نمتلك وعيا بالمواطنة المشتركة التي ينبغي أن تصنع منا مواطني (الأرض– الوطن)" (**بودريارد وموران، 2005، ص 86**)، وإن كانت صفة المواطنة المشتركة مرتبطة بالإنسان لأنه كائن مدني فهي لا تقتصر عليه، وإنّما تتجاوزه لكل كائن حي والكائن المدني هو المسؤول عن التفكير في هذا الأمر نيابة عن كل الكائنات الحية، والمواطنة البشرية لا تتحقّق إلّا في ظل وطن– أرض تتحقّق فيها كل الظروف الحيوية المريحة لجميعها، وهو ما يفتقره الكائن المواطن حسب **إدغار موران ( Edgar Morin)** الذي صرّح بذلك في قوله:" إنّ ما نفتقر إليه، لتحقيق مجتمع إنساني ، إن صحّ القول هو: الوعي بأنّنا أولاد الأرض– الوطن ومواطنوها، إذ لم نتمكّن بعد من الإقرار بأنّها بمثابة بيت مشترك للبشرية ".( **موران،2001/ 2009، ص 284**)

## 4. مسؤولية الوعي الإيكولوجي في التأسيس لأخلاق إيكولوجية جديدة.

إذا كانت المهمة الأصعب تتمثّل في التفكير في كوكبنا والبيت الكبير الذي يأوينا كما قال **إدغار موران (Edgar Morin)**، فإنّ التحرّر من أحادية التفكير وأنانيته النابعة من المركزية الذاتية هي الطريقة الوحيدة للخروج من هذا المأزق الأنطولوجي، وذلك من خلال تجاوز التفكير للذات وشموليته للآخر، للموضوع، لبيته الطبيعي، وعليه إمتلاك الوعي الإيكولوجي" فلم يعد الإنسان المركز بل الطبيعة والحياة "( **مفرج، 2009، ص 35**)، أي الإنتقال من المركزية الذاتية إلى المركزية الحيوية فالمركزية الكونية، من الذات الإنسان، إلى الحياة لكل كائن حي، إلى الكون الذي

يأويها، وعن الوعي الإيكولوجي يقول **إدغار موران (Edgar Morin)** معرّفا إيّاه بأنّه:" وعي كون البيئة منظومة إيكولوجية أي كلية حية ذاتية التنظيم تلقائيا (عفويا)، وعي تبعية إستقلالنا، أي العلاقة الأساسية مع المنظومة الإيكولوجية الذي يؤدّي بنا إلى رفض رؤيتنا للعالم الشيء وللإنسان المتوحّد"( **موران، 1995، ص 418**)، ثمّ إنّ الوعي الإيكولوجي برؤية **إدغار موران (Edgar Morin)** لا يقتصر فقط على ضرورة الإنتقال من المركزية الذاتية إلى المركزية الحيوية ومن مبدأ الإستقلال إلى مبدأ تبعية الإستقلال كخطوة وحيدة في حل المشكلة الإيكولوجية، وإنّما لا بدّ من أن يؤّسس الوعي الإيكولوجي لمنظومة إيكولوجية جديدة بعد أن يتجنّد للدفاع عنها في مقابل مسائلة ونقد المنظومة الإنسانوية التي أفرزت الحضارة التكنوقراطية المهدّدة للحضارة البيئية، وهذا الوعي الإيكولوجي يمثّله الإتّجاه الإيكولوجي الذي يراه **إدغار موران (Edgar Morin)** قد" أصبح مشروعا سياسيا يسائل تنظيم المجتمع على إعتبار أنّه ينقد ويرفض أسس الإنسانوية الغربية نقده ورفضه لمبادئ التنمية والنمو التي تدفع بالحضارة التكنوقراطية إلى الأمام" (**موران، 1995، ص 412**)، والوعي الإيكولوجي لا يقتصر على المساءلة والنقد فقط بل يعبر من خلالهما إلى كونه "يكشف أنّ للتنمية الصناعية الحالية طابعا قاتلا إذا تابعت جريانها الأسي، أي نحو ما اللانهاية أي نحو الموت، فهي تنزع، فعلا، إلى تدمير المنظومة الإيكولوجية بإستثمار مجنون".( **موران، 1995، ص 421**)

إنّ الممارسة التساؤلية والنقدية للفلسفة الإيكولوجية إتّجاه المنظومة التكنوقراطية التي عملت ثانية على وضع العقل التقني والتكنولوجي المتسبّب في المشكلة الإيكولوجية موضع الحل لها، لم يزد المشكلة سوى صعوبة لأنّ في هذا نظر من زاوية واحدة وقاصرة، وعليه فالحل لا يكون بالتكنولوجيا كركيزة أساسية حسب موران وإنما محاولة الإستفادة منها بالقدر الذي يجب أن تفيده فقط، فالإنذار الإيكولوجي:" لا يعدّ التلوث والضرر نتاجين ثانويين للنمو بل نتيجتين حتميين له، ولم يعد يرى نموا تقنيا نحو الإزدهار والرفاهية، بل فوضى تتجّه إلى تلويث المصادر الأولية للحياة وإلى تفسيخ الحياة نفسها. ولا يمكن للحلول وفق هذه الشروط أن تكون تكنولوجية، إنّها تقتضي إعادة بنية عامة للمنظومة المدنية فقط" (**موران، 1995، ص 412**)، هذا كما يدعو في برنامج التخطيط لحل المشكلة الإيكولوجية وعلى المدى القريب إلى التركيز على مكافحة مشكلة التلوّث التي كانت منطلق الإنذار الإيكولوجي وذلك في قوله:" لا بدّ من إنشاء برلمان عالمي وأيضا التركيز على الكفاح ضد تلوث الحياة البيئية"( **بودريارد وموران، 2005، ص 86**)، وليس **إدغار موران (Edgar Morin)** الوحيد الذي يقرّ بذلك بل يشاركه مجموعة من الفلاسفة الإيكولوجيين ومن بينهم **هنريك سكوليموفسكي (Henrik Skolimowski)** الذي يرى بدوره بعدم طرح التكنولوجيا على ركام مزبلة التاريخ، لكن وبحكم أنّ بعض أشكالها التي تتناقض مع غايات حياتنا وتهدّد الكوكب بأسره بالخطر، وتصير تهديدا خطيرا لنموذج التطوّر برمته لا بدّ من إعادة النظر في هذه الأشكال.

وبالعودة إلى ما أقرّه **إدغار موران (Edgar Morin)** عن كون التقنية تبدو في ظاهرها المسؤولة عن تحقيق النّمو والإزدهار ولكن في عمقها تتجّه إلى التقّدم نحو الوراء بما تسبّبه من فوضى وتلويث لمختلف المصادر الأولية الحيوية البيئية، فقد تساءل عن هذا التقّدم الذي يسير إلى فناءه قائلا:" إذا مات التقدم حينئذ لا جدوى من المستقبل، وعندما نفقد المستقبل وعندما يكون الحاضر قلقا وبائسا، ماذا بقي لإنجازه ؟ "( **بودريارد وموران، 2005، ص 78**)، ثم

أردفه مباشرة بالجواب القائل:" الطريقة الوحيدة للخلاص من هذا الإحراج هي العودة إلى الماضي الذي يكف عن كونه نسيجا من الإقصاءات ليصبح ملاذا"( **بودريارد وموران، 2005، ص 78**)، بمعنى العودة إلى الفترة الطبيعية التي كان فيها الإنسان في علاقة صداقة مع الطبيعة ومتعايشا معها في وفاق، أي العودة إلى الفترة ما قبل الصناعية أين كانت الطبيعة أكثر طبيعية لأنّها خالية من كل ما هو صناعي، فلا تلوّث ولا تغيّر على مستوى عناصرها العضوية ووظائفها الحيوية، وإلى الفترة التي كانت مواردها الطبيعية خاما خاضعة لما يعرف بالقانون الطبيعي والتوازن البيئي، أي محاولة العودة إلى" الينابيع، الطبيعة الجديدة والبدائية الجديدة "( **موران، 1995، ص 406**)، بمفهوم **إدغار موران ( Edgar Morin)**، مع محاولة الإستفادة من التقنية بما يخدم المرحلة البدائية القديمة لتكوين مرحلة سمّاها " البدائية الجديدة"، حيث يقول في هذا الصدد:" البدائية الجديدة لا تقتضي بالضرورة، رفض التقنية ومنتجاتها (الرفاهية والرخاء) بل تقتضي على الأغلب دمجها"( **موران، 1995، ص 412**)، أي لا بدّ أن يخضع العقل العلمي اليوم أكثر من أيّ وقت مضى إلى تهذيب أخلاقي، وذلك من خلال مسايرة الأخلاق للعلم " فالضمير الإيكولوجي يتطلّب مزجا غير مسبوق بين العلم والضمير بين البيولوجيا والأخلاق".( **زيمرمان، 2006، ص 187**)

إنّ المتأمّل في مصطلح " البدائية الجديدة " الذي وضعه **إدغار موران (Edgar Morin)** هذا الأخير الذي قال عنه **فرنسوا ليفونيه (François Lévonier)**:" موران ليس فيلسوفا فقط إنّما أيضا مبتكر المفاهيم مثلما يحدّد جيل دولوز وظيفة الفيلسوف"( **بودريارد وموران، 2005، ص 68**)، يستنتج أنّه وبالإضافة إلى ما حمله هذا المصطلح من معنى على النحو الظاهر والمباشر بالعودة إلى الفترة الماقبل–صناعية أين كانت البيئة أكثر طبيعية، فإنّ في المعنى المتضمّن في العمق منه هو دعوة إلى إعادة تأسيس أخلاق إيكولوجية جديدة، أي دعوة إلى إعادة تأسيس علاقة جديدة بين الإنسان وبيئته، هذه العلاقة التي تصدّعت في ظل الثورة التقنية والصناعية، وإذا كانت الحياة البدائية ترمز إلى كل ما هو طبيعي، حيوي، وإلى التعايش في وفاق مع الطبيعة التي كان يتميز بها الإنسان آنذاك، فإنّ هذا الأخير كان ذو طبيعة خيّرة قبل أن يتحوّل إلى الطبيعة الشريرة التي قامت على أساس المركزية الذاتية ومبدأ الأنانية والإستقلالية الذي شرّع لمبدأ السيطرة على الطبيعية، وعليه فإنّ الدعوة إلى تأسيس أخلاق إيكولوجية جديدة تحيل إلى أنّ " البحث في الأخلاق الإيكولوجية هو محاولة للعودة بالإنسان إلى طبيعته الخيّرة "( **جفال، 2018، ص 105**)، إلى محاولة العودة والأخذ بمفاهيم الحضارة الما قبل–تكنوقراطية من قبيل، الحياة، الوفاق، التعايش، النحن، المسؤولية، المساواة، الأرض، وفي المقابل إعادة النظر إلى مفاهيم الحضارة التكنوقراطية المعاصرة من قبيل، التقنية، الذات، الإستقلالية، السيطرة، التلوّث، الإنقراض، الإحتباس الحراري، السلاح النووي، وهذا التوقّف أمام هذه المفاهيم ليس سوى محاولة للإنتقال إلى مرحلة البدائية الجديدة التي دعا إليها **إدغار موران (Edgar Morin)** أو ما يمكن تسميتها أيضا " الحضارة الإيكولوجية " ولا يمكن قيامها إلّا بعد " أن نقوم بتغيير المفاهيم والقيم الأخلاقية ".( **قلامين، 2019، ص 487**)

ومن بين المفاهيم والقيم الأخلاقية الإيكولوجية الجديدة مفهوم " تبعية الإستقلال " أين يرى موران بأنّ الإنسان المعاصر من منطلق إيمانه بالمركزية الذاتية يعتبر نفسه عضوا مستقلا عن بقية الأعضاء الممثّلة للمنظومة الإيكولوجية ككل، لكونه العضو المسيطر عليها فقط ولأنّه المميّز فيها وكل ما تحته من أعضاء مسخّر لخدمته وتوفير

رفاهيته، وفي تركيزه على مبدأ الإستقلال تجاهل مبدأ التبعية الذي يؤكّد بأنّه في النهاية ليس سوى حلقة حيوية متصلة مع بقية الحلقات المشكّلة للمنظومة الإيكولوجية، ويبيّن ذلك في قوله:" إنّ الإنسان أكثر إستقلالا عن المحيط وتبعية له ممّا يمكن تصوّره: أو، بالأحرى أنّ إستقلاله مرتبط بعلاقته المنظومية الإيكولوجية بقدر إرتباط تبعيته بها"( **موران، 1995، ص 419**)، وللخروج من هذا المأزق الإيكولوجي لا بدّ من دمج المفهومين وجعلهما مفهوما واحدا ينظر إلى شقّيه نظرة متساوية ويساهم في ذلك بتأسيس أخلاق إيكولوجية جديدة، يقول في هذا الصدد:" إنّ تبعية الإستقلال هي التي يجب أن تصبح المكتسب الجدير بالملاحظة للعلم الإيكولوجي الجديد"( **موران، 1995، ص 419**)، وعلى منوال هذا المفهوم ومن مبدأ الإعتراف بتبعية الإستقلال للإنسان في المنظومة الإيكولوجية سيكتسب خلقا إيكولوجيا جديدا متمثّلا في المفهوم الإيكولوجي الكوني المتمثّل في " الهوية الأرضية "، والذي يعني بأنّ لكل كائن حي هوية بيولوجية خاصة به وهوية أرضية مشتركة يشترك فيها مع كل الكائنات الحية التي تجمعه بها هذه الأرض، ما يحيل إلى القول بأنّ الهوية الأرضية تمثّل بصمة الحياة المشتركة والمصير المشترك لكل الكائنات الحية دون تمييز، فأيّ تهديد لمصير وحياة عضو منها هو تهديد لحياة ومصير جميعها، لأنّ " كل البشر وفعالياتهم مندمجون في ومعتمدون على النظم البيئية لكوكبنا، والنظم البيئية هي آلة الطبيعة، الآلة التي تدعم حيواتنا، وبدون الخدمات المقدمة من النظم البيئية الطبيعية تنهار الحضارة وتصبح حياة الإنسان فيها محتملة"( **إيرليش، 2000، ص 241**)، يقول **إدغار موران (Edgar Morin)** في هذا الصدد:" بوصفنا كائنات حية من هذا الكوكب فإنّنا مرتبطون بشكل حيوي بالمحيط الحيوي الأرضي يجب الإعتراف بالشرط الفيزيائي والبيولوجي لهويتنا الأرضية"( **موران،2002 ، ص 48**)، ويضيف في موضع آخر:" لدينا كذلك مصير مشترك، هذا المصير المشترك أملاه العهد الكوكبي وبالأخص التهديدات المميتة، إذن، لدينا مقوّمات مواطنة أرضية لم نعيها بعد"( **بودريارد وموران، 2005، ص – ص 86 –87**)، وعليه، فإنّ التسليم بمبدأي تبعية الإستقلال والهوية الأرضية تجعل من الإنسان المعاصر يكتسب أخلاقا إيكولوجية جديدة أو ما يمكن تسميته بأخلاق الأرض، هذه الأخيرة " تغيّر دور الإنسان العاقل من مستعمر لمجتمع الأرض إلى عضو ومواطن عادي فيه، كما تستلزم منه إحتراما للأعضاء–الزملاء وكذلك إحترام المجتمع بحد ذاته".( **زيمرمان، 2006، ص – ص 34 – 35**)

كما ويؤكّد إدغار موران الذي قال عنه **فرنسوا ليفونيه (François Lévonier)** أيضا بأنّه:" يؤمن بالعلاقة بين النظرية والممارسة "( **بودريارد وموران، 2005، ص 69**)، على أنّ الأخلاق الإيكولوجية الجديدة لا يجب الإكتفاء بالتنظير المفاهيمي النظري لها فقط، وإنّما لابدّ من النزول بها إلى أرض الواقع وممارستها عمليا وذلك بعد إكتسابها والمران عليها عن طريق فعل التربية، أي تربية الإنسان المعاصر تربية بيئية جديدة، لإعتبار أنّ" التربية البيئية هي عملية تكوين القيم والإتّجاهات والممارسات والمدركات الأزمة لفهم وتقدير العلاقات المعقّدة التي تربط الإنسان وحضاراته بالبيئة التي يحيا فيها وتوضّح حتمية المحافظة على موارد البيئة ضرورة ضمن إستغلالها لصالح الإنسان وحفاظا على حياته الكريمة ورفع مستويات معيشته"( **الحمد وصباريني، 1979، ص 181**)، يقول في هذا الصدد:" غاية التربية التي يجب عليها أن تعمل في العصر الكوكبي على تشكّل الهوية والوعي الأرضيين"( **موران، 2002، ص 58**)، وهذه الغاية لا تقتصر على العلوم التربوية فقط بل كل العلوم الشرعية والإنسانية تمتلك دور كبير وفعّال في تربية الإنسان تربية إيكولوجية من خلال التوعية البيئية وأخلاقية التصّرف البيئي الذي يقوم على أساس" التعامل مع البيئة تعاملا يحدّده

الشعور بالواجب إزاءها، ويكون فيه للقيم الخلقية نصيب وفير في التوجيه، بحيث تنتفي منه معاني الإستهتار واللامبالاة كما تنتفي معاني الأنانية والحقد والتسلّط والإحتقار، فيصبح الإنسان وهو يتعامل مع البيئة ينطلق من منطلق يشبه منطلقه وهو يتعامل مع أخيه من بني جنسه مع إعتبار الإختلاف من الإنسان والبيئة في التميّز القيمي وفي طبيعة الوظيفة المطلوبة منها ".( **عمر النجّار، 2004، ص 215**)

لقد بيّن **إدغار موران (Edgar Morin)** بأنّ الإنسان لا ينفك عن كونه عضوا متساويا في الحقوق الحية مع بقية الأعضاء الحية الأخرى في المنظومة الإيكولوجية ككل، وهو ما تمنحه إيّاه الهوية الأرضية المشتركة، فقط لكونه الكائن الحي الوحيد المتميّز بسمات العقل والأخلاق والمواطنة، ولهذا وجب أن تكون علاقته بمنظومته الإيكولوجية علاقة أخلاقية ومن هذا المنظور يؤكّد بأنّ:" الإنسان مرآة المنظومة الإيكولوجية"( **موران، 1995، ص 419**)، لأنّه الوحيد الذي يعكس ما يملكه وما تملكه بقية الكائنات الحية الأخرى بواسطة أفكاره وأخلاقه، وأكبر دليل على ذلك هو ما قدّمه الفلاسفة الإيكولوجيين دفاعا منهم عن حق الحياة لكل كائنات المنظومة الإيكولوجية في نظريات مختلفة من بينها " نظرية المركزية الحيوية التي تمثّل موقفا يركّز على الحياة ويرفض الرأي القائل: إنّ الإنسانية وحدها محور الأخلاق، وينادي بالوضع الأخلاقي لكل المخلوقات الحيوية على الأقل، وهناك مجموعة من النظريات الأساسية التي تجسّد الأخلاقيات المتمركزة حيويا منها: نظرية **ألبرت شفايتزر(Albert Schweitzer)** حول تقديس الحياة، ونظرية **بيتر سنجر(Peter Singer)** حول أخلاقيات تحرير الحيوان، ونظرية **بول تايلور(Paul Taylor)** حول أخلاقيات المساواة المتمركزة حيويا"( **حنيفي، 2017، ص 7**)، ومن خلال هذه النظريات التي تحاول الإعتناء بكل عضو من أعضاء المنظومة الإيكولوجية يتأكّد بأنّ علاقة الإنسان بالأرض لا يمكن أن تكون سوى علاقة أخلاقية قوامها الإحترام والحب وهو ما أشار إليه **ألدو ليبولد (Aldo Léopold)** الذي قال:" من غير المعقول. بالنّسبة إلي إمكانية أن توجد علاقة أخلاقية بالأرض من دون حب وإحترام، وإعجاب بالأرض وإحترام إلى قيمتها. أقصد بالقيمة، طبعا شيئا أوسع بكثير من مجرّد قيمة إقتصادية أعني القيمة بالمعنى الفلسفي" (**حنيفي، 2017، ص 8**)، وبالتأكيد حين تقدّم الأولوية للقيمة الكونية على القيمة الإقتصادية ستتحوّل علاقة الإنسان ببيئته إلى علاقة أخلاقية، وهو ما يثبت صحة فكرة **إدغار موران (Edgar Morin)** في ما يتعلّق بضرورة تغيير المفاهيم والقيم الأخلاقية، ليصبح تأسيس منظومة إيكولوجية جديدة على أساس أخلاق إيكولوجية جديدة كما دعا إليها موران وغيره من الإيكولوجيين مطلبا شرعيا وحقا طبيعيا ومدنيا تعتني به مختلف الملتقيات والمراكز الدولية وعلى رأسها الجمعية العامة للأمم المتحدة، فلقد جاء في تقرير الأمين العام، الدورة الثامنة والستون، البند 19، من جدول الأعمال المؤقت التنمية المستدامة النص الآتي:" يدعو الإنسجام مع الطبيعة إلى إعادة الإعتبار إلى الروح الإنسانية – مفهوم الكلية – وعلى أهمية هذا المفهوم كأحد عوامل السعي إلى أسلوب حياة يحترم حقوق الطبيعة، ويجب أن نحترم أساليب الحياة الإنسانية الحدود الإيكولوجية وحدود الطبيعة. وهذا معناه إعتماد نموذج جديد يتضمّن علاقات منسجمة مع الطبيعة".( **الجمعية العامة (الأمم المتحدة) تقرير الأمين العام، 2015، ص 15**)

## 5. خاتمة:

أستنتج في ختام ورقتي البحثية بأنّ الفيلسوف الفرنسي **إدغار موران (Edgar Morin)** يعدّ من أبرز الفلاسفة الإيكولوجيين المعاصرين، والذي إهتم هو الآخر بالمشكلة الإيكولوجية منضما إلى الإتّجاه الإيكولوجي المعاصر ومدافعا عن البيئة متحلّيا بأخلاق الأرض. ولهذا فقد شرع بداية بتحديد أصل المشكلة الإيكولوجية الذي أرجعه إلى غياب الوعي الإيكولوجي وما إنجرّ عنه من إعتقاد بالمركزية الذاتية والأخذ بمبدأ الإستقلالية والإستناد إلى العقل الأداتي التقني في ممارسة سلطة السيطرة على البيئة، ما أدّى إلى وقوع المأزق الإيكولوجي الذي نبّه لحدوثه بما سمّاه " الإنذار الإيكولوجي".

ولمحاولة منه في تجاوز هذه المشكلة قدر الإمكان، يدعو موران إلى إكتساب الوعي الإيكولوجي لأنّ هذا الأخير يعدّ المسؤول الأول عن تأسيس أخلاق إيكولوجية جديدة بناء على تغيير المفاهيم والقيم الأخلاقية، ويرجع تأسيس هذه الأخلاق الإيكولوجية الجديدة حسبه ما أقرّه من محاولة إكتساب وممارسة مفهومي تبعية – الإستقلال والهويّة الأرضية اللذين نظّر لهما في ما سمّاه بـ " الحياة البدائية الجديدة "، أين يحاول الإنسان المعاصر في خضمها أن يجمع بين مفاهيم الحضارة ماقبل–التكنوقراطية وإيجابية التقنية في الحضارة التكنوقراطية ليكوّن الحضارة الإيكولوجية الجديدة التي تعيد العلاقة المتّزنة بينه وبين بيئته مع محاولة الحفاظ عليها في خاتمة البحث تلخيصا لما ورد في مضمون البحث، مع الإشارة إلى أبرز النتائج المتوصل اليها، وتقديم اقتراحات ذات الصلة بموضوع البحث.

## 6. قائمة المراجع:

**الكتب:**


•الحمد، رشيد وصباريني، مُحَّد سعيد.(1979). البيئة ومشكلاتها. المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب. الكويت.

•النجّار، عبد المجيد عمر. (2004). قضايا البيئة من منظور إسلامي. ط2. مركز البحوث والدراسات لوزارة الاوقاف والشؤون الدينية. قطر.

•إيرليش، بول. (2000). آلة الطبيعة الإيكولوجيا من منظور تطوّري. ترجمة: حسين بيومي. د.ط. المعلم الأعلى للثقافة. مصر.

•بودريارد، جون وموران، إدغار.( 2005). عنف العالم. ترجمة: عزيز توما.ط1. دار الحوار. سوريا.

•زيمرمان، مايكال. (2006). الفلسفة البيئية من حقوق الحيوان إلى الإيكولوجيا الجذرية. ترجمة: معين شفيق رومية. د.ط. المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب. الكويت.

•كانط، إيمانويل. (1952). مشروع السلام الدائم. ترجمة: عثمان أمين. ط1. مكتبة الأنجلو مصرية. القاهرة.

•مفرج، جمال.( 2009). الفلسفة المعاصرة من المكاسب إلى الإخفاقات. ط1. منشورات الإختلاف. الجزائر.

•موران، إدغار.(1995). روح الزمان، الجزء الثاني: النخر. ترجمة: أنطون حمصي. د.ط. منشورات وزارة الثقافة. 1995.

•موران، إدغار.(2002). تربية المستقبل، المعارف السبع الضرورية لتربية المستقبل. ترجمة: عزيز لزرق ومنير الحجوجي. ط1. اليونسكو ودار توبقال. 2002.

•موران، إدغار.( 2009). النهج، إنسانية البشرية، الهوية البشرية. ترجمة: هناء صبحي. ط1. هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث. 2009.

•جدول الأعمال المؤقت التنمية المستدامة. (2015). الجمعية العامة (الأمم المتحدة)، الدورة الثامنة والستون، البند 19.

**المجلات:**

•بن سباع، مُحَمَّد. (2016). الفلسفة الإيكولوجية الراهنة...نحو إعادة تأسيس علاقة الإنسان ببيئته. مجلة العلوم الإنسانية والإجتماعية. الجزائر. المجلد 45. ص – ص 57 – 72.

•بن سباع، مُحَمَّد. (2018). الفلسفة الإيكولوجية عند هانز يوناس نحو أخلاق جديدة لمستقبل الطبيعة والإنسانية. مجلة العلوم الإجتماعية. الجزائر. المجلد 15. ص – ص 91 - 102.

•قلامين، صباح. (2019). الفلسفة الإيكولوجية: نظرة جديدة في فلسفة العلوم الإنسانية وعلاقاتها بالبيئة. حوليات جامعة الجزائر1. الجزائر. العدد 30. ص – ص 484 – 507.

**المواقع الإلكترونية:**

•حنيفي،جميلة.(2017).أخلاقيات البيئة تطوّرها وتياراتها. موقع مؤمنون بلا حدود. إسترجعت بتاريخ: أوت 2021/06 من www.mominoun.com